عليها فيقع الخلاف وهكذا ..

أضف إلى ذلك أن الدلالات وهى مختلفة قد تتساوى فى افادة معان كثيرة ، ويصعب ترجيح احداها على الآخر ، مثل معارضة العام بخاص أو المطلق بمقيدة وهو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وهذا باب واسع فى الروايات وبحر ضخم .. إلى غير ذلك من أسس الاحتمالات التى ترجع إلى رواية السنن.

(هـ) كما أن من أسس الاحتمال واختلاف وجهات النظر ما قد يعود إلى أسباب ترجع إلى القواعد الأصولية وضوابط الاستنباط ، فنجد من المجتهدين من يأخذ مثلا بالمصالح المرسلة ، وهناك من لا يأخذ بها فتختلف أقوالهم فى الوقائع بناء على ذلك.

إننا نجد من هذا النوع أموراً أخرى اختلف المجتهدون فيها ، وتعرف فى كتب الفقه بالأدلة المختلف فيها ، مثل - سد الزرائع - الاستحسان - الاستصحاب ، الأخذ بالأحوط ، الأخذ بالأخف ، العرف - العادة ... وغير ذلك.

أضف إلى ماسبق من أسس الاحتمال إن الاختلاف فى حد ذاته فيه رحمة بالأمة وتوسعة عليها حيث أتاح هذا الالختلاف فرصة الاختيار فى الأمر فيكون فيه رخصة وسعة كما فى الاختلاف - المحمود طبعا - ثروة كبيرة - فتكثر الآراء وتجتهد العقول وتستنبط وتتنوع المسالك ، وفى هذا كله ثروة فقهية تشريعية.

هذه هى أهم أسس الاحتمالات لأكثر من رأى تلك الاحتمالات - أو الاختلافات - التى لا تؤدى إلى تفرق الكلمة أو إلى تشتيت الصف فهى اختلافات لا تفسد للود قضية فلا تتنازع الطوائف ، وتتعادى الأمة بل يثرى الفكر ويعمل العقل.

أما الاختلاف المذموم المؤدى إلى تفرق الكلمة ووقوع الشقاق والنزاع فقد حذر منه الإسلام وقد بين أسبابه حرزا من الوقوع فيه ، ويمكن تلخيص أهم هذه الأسباب فيما يلى :

١- الجهل : فلقد كان الجهل ومايزال مانعا من الوصول إلى الحق ، فالجهل أمر يحتم على صاحبه التضارب والتعصب وعدم الانصياع للغير ، ويوضح القرآن الكريم ذلك جليا حيث بين صدود الناس عن الحق لجهلهم.

فيقول سبحانه {واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله أنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فاتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين . قال إنما العلم عند الله

وأنبئكم ماأرسلت به ولكنى أراكم قوما تجهلون](١).

وعن قوم موسى عليه السلام يقول سبحانه [قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم إلهه قال أنكم قوم تجهلون](٢).

فالجهل إذن واختيار الهوى من الأسباب التى أدت إلى عدم وصول هؤلاء إلى الحقيقة ولذا اختلفوا مع أنبيائهم بجهلهم ، وكان اختلافهم هذا مذموما نهى عنه الإسلام وحذر منه ودعا إلى الألفة بالعلم واتباع الحق.

٢- **التقاليد الموروثة** : حيث حكى لنا القرآن الكريم مدى تأثر الكثير ممن كان يدعوهم الأنبياء إلى دين الله فكانوا يرفضونه لما ورثوه عن أبائهم وأجدادهم من تقاليد تخالف مايدعوا إليه هؤلاء الأنبياء ، ولقد بين القرآن أن تحكم هذه التقاليد وصدها عن الحق مهما كانت درجته أمر واضح وقاسم مشترك لرافض دعوة الحق في كل دعوة من دعوات الرسل يقول سبحانه [وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا في كل دعوة من دعوات الرسل يقول سبحانه [وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه أباءنا أو لو كان أباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون. . . .»(٣).

وقد سُئل أحد الأعداء من المشركين عن «محمد» - صلى الله عليه وسلم - فقال : أنا أعرف ابنى وأعرف محمد ، ومعرفتى لمحمد أشد . . . ومع ذلك فقد فرضت عليه التقاليد البالية أن يبقى أسير هذه التقاليد ، وصدق الله حيث قال : [يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون](٤).

٣- **الاستبداد بالرأى والتعصب له فى مقابلة النص**

وذلك سبب عظيم يتمسك به أصحاب العصبات والتقليد الأعمى دون الوصول إلى الحقيقة ولقد بين الإسلام أن الاستبداد بالرأى وعدم المشاورة أو المحاورة مع الغير توصلا للحق من أهم أسباب الخلاف المهلك - إذ أن التعصب للرأى المفرد يشتد حتى ليختلط رأى المتعصب بذاته ، ومن ثم فإنه يدافع عن ذاته لا عن فكرته أو يدافع عنهما معاً ، ولذا فإن كل من يجادله إنما يضع ذاته فى معرض المساومة ، ومن ثم يتصدى له مع أن الفكرة ينبغى أن تظل منتصلة عن صاحبها.

ولذا نجد فى الإسلام حين حزن الصحابة (رضوان الله عليهم) على وفاة رسول

---

(١) سورة الأحقاف آية ٢١ ، ٢٣ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٣٨ .

(٣) سورة البقرة آية ١٧٠ .

(٤) سورة البقرة آية « ١٤٦ » .

الله (صلى الله عليه وسلم) إلى حد أظهرهم وكأنما ينكرون .. لفت الحق سبحانه أنظارهم إلى ضرورة فصل الفكرة عن الانسان ، وبين لهم أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - بشر ، ويموت كما يموت البشر {ومامحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل افإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ..}(١).

ففصل الحق سبحانه الفكرة عن الانسان حين فصل بين محمد (صلى الله عليه وسلم) وبين دعوته. فمحمد يموت شأنه شأن البشر ، ولكن دعوته شيء آخر وستبقى بعده أبداً فعالج القرآن هذه القضية بعدم التعصب للرأى الأعمى والاستبداد به ، بل لابد من فصل الفكرة عن صاحبها ، واعمال الفكر والعقل دون الاستبداد حتى يصل الانسان إلى الحقيقة السليمة ، وإلا كان الخلاف الهلك المذموم.

٤- سوء الفهم وسوء النوايا

وهما من الأسباب الأساسية لوقوع الخلاف المذموم أيضا ، حيث إن سوء الفهم يترك أثره الكبير على مجرى الحوار فينحرف به صاحبه عن الجاده ، وقد يتطور إلى مؤامرة يراد بها بلبلة الأفكار حتى لا تصل فى موضوع النزاع إلى قرار .. وذلك عن طريق إلقاء الشبه والتساؤلات التى لا تغنى عن الحق شيئا ، وصدق الله العظيم {ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق}(٢).

٥- تفسير المفاهيم

كذلك من أهم أسباب الخلاف المهلك المذموم التلاعب بالألفاظ وتفسيرها تفسيرا يغاير مفاهيمها ، وقد كان هذا السبب من أهم وسائل الأعداء فى النيل من الإسلام ولذا نجد الغزالى يقول فى الأحياء : إعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الاسامى المحمودة ، ونقلها بالاغراض الفاسدة إلى معان غير ماأراد السلف(٣).

وبعد ، فتلك هى أهم أسباب الخلاف المذموم وقد بينها الاسلام حرزا من الوقوع فيها ، فيجب علينا أن لا نقع فيها فنضل ونتفرق فنهلك.

---

(١) سورة آل عمران آية « ١٤٤ ».

(٢) سورة الكهف آية ٥٦ .

(٣) راجع الاحياء جـ ١/ ٢٨ بتصرف .

أدب الخـــــلاف :

ولذا جعل الإسلام للخلاف آدابا وألزم المسلم الالتزام بها إذا ماوقع اختلاف بين المسلم والمسلمة أو المسلم وغيره فى فكر أو رأى ، ولقد حكت لنا كتب السنة والسيرة كيف كان الصحابة يختلفون ويلتزمون بآداب الاختلاف ، ولم يؤد اختلافهم إلى تفرق أو تشتت بل كان اختلافا هادفا يخدم القضية المبحوثة دون تعصب لرأى أو لفكر.

فقد اختلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى قبول شروط الحديبية ... وكذا اختلف الأئمة الأربعة من الفقهاء فى كثير من المسائل الفقهية ، وكان لكل فقيه رأيه المؤيد بالبراهين والأدلة ولم يؤد اختلافهم إلى تفرق أو نزاع أو عصبية بل كان اختلافهم رحمة من الله على الأمة.

بل إننا إذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجده يسجل لنا دعاوى المبطلين رغم فسادها واختلافها عما يدعو اليه ، ثم يناقشها ويكر عليها ويدمرها تدميراً . فناقش قضية الأصنام والأوثان وعبادتها ، وكذا ناقش قضية تأليه البشر- عيسى - وعزيز وغير ذلك ثم دحض هذه الدعاوى الباطلة وبين فسادها .

بل أننا نجد الإسلام وقد اتسع صدره لكل رأى مهما بلغ فى الانحراف منتهاه شريطة أن يكون مع صاحبه دليله ، يقول سبحانه : {ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون}(٣).

ولذا نجد الإسلام يدعو إلى المحاورة والمجادلة تحريرا للحق من شوائب الباطل ، وكان من الضرورى أن يضع آدابا تصون المحاورة كى تخدم الحق وتدحض الباطل ، وبين الإسلام أن «كل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن قد اعطى للإسلام حقه ولا وفى بموجب العلم والإيمان ، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس ، ولا أفاد كلامه العلم واليقين»(٤). وبين الإسلام أن النكوص عن مجادلة الباطل بحجة أن الجدل باطل ضعف أى ضعف وتقصير فى أداء الرسالة لعدم تغير المنكر الذى حث الإسلام على تغيره بكل الطرق والوسائل . يقول (صلى الله عليه وسلم) : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ... وفى رواية - ليس

(١) سورة الكهف آية ٥٦ .

(٢) راجع الاحياء جـ ١/ ٢٨ بتصرف .

(٣) سورة المؤمنون آية ١١٧ .

(٤) درء تعرض العقل والنقل / ابن تيمية جـ ١ / ٣٥٧ .

وراء ذلك مثقال حبة من خردل من إيمان ...»[1].

ولذا نجد ابن حزم يقول : وبالجملة فلا أضعف ممن يروم ابطال الجدال بالجدال ويريد هدم جميع الاحتجاج بالاحتجاج ، ويتكلف فساد المناظرة بالمناظرة لأنه مقر على نفسه انه يأتى بالباطل . لأن حجته هى بعض الحجج التى يريد إبطال حجتها»[2].

إذن فلابد من سلوك منهج القرآن الكريم والسنة النبوية فى اظهار الحقيقة عند مجادلة المفسدين ، ودحض باطلهم ، هذا المنهج الذى استقامت طريقته على الجادة وسلمت بواعثه من الخلل ، واستهدف غاية شريفة تحق الحق ، وتبطل الباطل ، ولقد طبق هذا المنهج الصحابة رضوان الله عليهم ، والناظر فى معالم آداب الاختلاف عندهم يجد ذلك واضحا جليا ، تلك المعالم التى تمثلت فيما يلى :

١- إنهم كانوا يعالجون مايقع من النوازل فى ظلال هدى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بحيث يعالجون الأمر الواقع بمادة لا تتيح فرصة كبيرة للجدل فضلا عن التنازع والشقاق.

٢- إذا وقع الاختلاف بينهم فى أمر ما سارعوا برد الأمر المختلف فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فيزول الاختلاف ، وذلك تطبيقا لمنهج القرآن ... {فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا»[3].

{وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله ...}[4].

٣- سرعة خضوعهم والتزامهم بحكم الله وتسليمهم التام الكامل به ... تحقيقا لقول الحق سبحانه {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}[5].

٤- احترام كل من المختلفين لأخيه ، وبعدهم عن التعصب الأعمى حيث كان لدى كل منهم شعور بأن ماذهب إليه أخوه يحتمل الصواب كالذى يراه لنفسه.

٥- التزامهم بالتقوى وتجنب الهوى المضل حذرا من قول الحق سبحانه {ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله}[6] وكان من شأن هذا المعلم أن يجعل

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم فى صحيحه بسنده : الإيمان باب كون النهى عن المنكر من الإيمان جـ ١ / ٣٩ عن أبى سعيد .

(٢) أصول الأحكام / ابن حزم جـ١ / ٢٧ .

(٣) سورة النساء آية ٥٩ .

(٤) سورة الشورى آية ١٠ .

(٥) سورة النساء آية ٦٥ .

(٦) سورة القصص آية ٥٠ .

الحقيقة وحدها هدف المختلفين حيث لا يهم أى منهما أن تظهر الحقيقة على لسانه أو على لسان أخيه.

٦- الالتزام بآداب الاسلام مع انتقاء أطايب الكلام وتجنب الألفاظ الجارحة بين المختلفين مع حسن استماع كل منهما للآخر.

٧- تنزيههم عن المماراه والمجادلة السوفسطائية بكل مايملكون من قوة، وبذلهم أقصى أنواع الجهد فى موضوع البحث مما يعطى لرأى كل من المختلفين صفة الجد والاحترام للطرف الآخر ويدفع المخالف لقبوله أو محاولة تقديم الأفضل منه.

وبعد، فتلك هى أهم معالم آداب الاختلاف عند الصحابة، أضف إليها إنهم كانوا واقعين عند الحدود يسارعون بالاستجابة إلى الحق، والاعتراف بالخطأ دون أى شعور بالغضاضة كما كانوا شديدى الاحترام لأهل العلم والفقه، ولم يجاوز أحد منهم قدر نفسه، ولم يضيع حق أخيه، كما كانوا يرون أن الرأى مشترك، فقد يكون الحق فيما ذهب اليه أو فيما ذهب إليه أخوه، حيث كانت أخوة الإسلام بينهم أصلا من الأصول الهامة فهى فوق الخلاف أو الوفاق فى المسائل الاجتهادية وكانوا يرون أن استدراكات بعضهم على بعض معونة يقدمها المسلم لأخيه، وليست عيباً أو نقداً.

وهكذا استطاع الصحابة (رضوان الله عليهم) أن يقووا رابطة الإيمان والوحدة بينهم فلم يقع منهم خلاف مهلك أو نزاع مفرق وذلك باتباعهم هذا المنهج السديد الذى رسمه الإسلام عند اختلاف الآراء وياحبذا لو سلكه أصحاب وجهات النظر والمختلفين فى عصرنا هذا.

وزيادة على ماسبق بيانه من معالم فى أدب الاختلاف عند الصحابة وضع علماؤنا الأفاضل آدابا للمحاورة والمناظرة عند الاختلاف على فكر أو رأى، وذلك حرصا على سلامتها وتحقيقا للغرض المقصود منها - وهو (اظهار الحقيقة) - وهى تلك الآداب التى وضعوها تتلخص فيما يلى:

١- أن يتجنب المناظر مجادلة ذى هيبة يخشاه لئلا يؤثر ذلك عليه فيضعفه عن القيام بحجته كما ينبغى.

٢- ألا يظن المناظر حقارة خصمه أو أنه ضعيف قليل الشأن إذ أن ذلك يقلل من شأنه أو اهتمامه فيمكن الخصم الضعيف منه.

٣- ألا يظن أن خصمه أقوي منه بكثير حتى لا يتخاذل ويضعف عن تقديم حجته

على الوجه المطلوب.

٤- ألا يكون فى حالة قلق نفسى أو اضطراب أو فى حالة تفسد عليه مذاجه الفكرى والنفسى كأن يكون جائعا أو ظامئاً أو حانقا .. أو غير ذلك.

٥- أن يتقابل المتناظران فى المجلس ، ويبصر أحدهما الآخر إن أمكن ، ويكونا متماثلين أو متقاربين علما ومقداراً.

٦- ألا يكون المناظر متسرعا ليقصد اسكات خصمه فى زمن يسير لان ذلك يفسد عليه رويته الفكرية ، ويبعده عن منهج المنطق السديد والتفكير فى الوصول إلى الحق.

٧- أن يقصد كلا المتناظرين المساهمة فى اظهار الصواب أو الحق ولو على يد خصمه.

٨- أن يتجنب كل منهما الاستهزاء والسخرية وكل مايشعر باحتقار المناظر وازدرائه لصاحبه أو وصفه بالجهل أو قلة الفهم كالتبسم والضحك والهمز والغمز واللمز.

٩- أن يحترزا - أى المتناظران - من الاختصار المخل فى الكلام أو اطالته بدون فائدة ترجى من ذلك.

١٠ - أن يتجنبا الالفاظ الغريبة أو المجملة التى تحمل أكثر من معنى.

١١- أن يأتيا بالكلام الملائم للموضوع وألا يخرجا عنه.

١٢- ألا يتعرض أحدهما لكلام خصمه قبل أن يفهم مقصوده تماما.

١٣- أن ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه ، ولا يقطع عليه كلامه قبل أن يتمه .

فهذه هى أهم تلك الآداب التى وضعها العلماء فى أدب البحث والمناظرة ، والتى يجب التزامها حتى يتم الوصول إلى الحقيقة ناصعة لا غبار عليها .

وإذا كان الإسلام قد وضع آداب طيبة للمناظرة أو الاختلاف فى وجهات النظر فلقد جعل للحوار العلمى أيضا ضوابط خلقية ومنطقية ، والزم المتحاورين اتباعهما وصولا للحق فما هى تلك الضوابط.

ضوابط الحوار[1] العلمى فى الإسلام :

مما لا شك فيه أن البحث عن الحقيقة والوصول إلى الصواب هما أهم غاية للمحاورة العلمية فليس الأمر انتصارا لرأى أو تعصبا لهوى ، ومن ثم كان لابد من وضع ضوابط للحوار العلمى ليحقق هذه الغاية المرجوة منه ، وقد وضع الإسلام للحوار العلمى ضوابط خلقية وأخرى منطقية ، ويمكن اجمال هذه الضوابط فيمايلى:

أولا : الضوابط الخلقية :

١- الاخلاص لله والتجرد عن الأهواء إذ لابد من التجرد للحق ومجاهدة النفس حتى تتحرر من اتباع هواها أو أهواء غيرها ، وهذا الضابط يجب على كل من المتحاورين أن يتحلى به ، إذ أن الكثير من الاختلافات ظاهرها الخلاف وباطنها حب الذات لذا ينبغى الاخلاص فى المحاورات والمناقشات العلمية بعيدا عن التعصب المذموم لحزب أو لجماعة وأن ينصف الجميع الحق اينما وجد..

٢- التواضع : إذ يجب على المتحاورين أن يتواضع كل منهما لنظيره تواضعا يستصغر به نفسه بحيث يقف كل من خصمه موقف الشريف لا موقف التحدى ، موقف المسترشد وعلى جسر من هذا التواضع الذي ينتج الطريق أمام الرأى الآخر تنجلى معركة الرأى عن فوائد كثيرة.

٣- احسان الظن بالخصم : وهو أدب اخلاقى هام فى مثل هذا المجال خاصة فينبغى على كل من المتحاورين احسان الظن بأخيه ، وأن يخلع كل منهما المنظار الأسود عن النظر إلى الآخر.

٤- انصاف الخصم ، وقد وضع العلماء هذا الضابط لما فى كيان النفس البشرية من حب العلو ، وحب الذات ولو على اشلاء الآخرين ، وفى لحظة المنافسة قد تجحب الرؤية نتيجة حب الذات ، فجعل الاسلام هذا الضابط حتى يحجب الانسان نفسه عن هذا الهوى فيعترف لغيره بالفضل إن كان معه الحق فيرتفع بذلك فوق المواقف النفسية ولاءً للحق ، فبين هذا الضابط صفاء النفس الشاهدة بالحق

---

(١) من الحور وهو : الرجوع عن الشئ وإلى الشئ ، والمحاورة – المجاوبة ، والتحاور التجاوب – وهى عملية تتم بين اثنين فاكثر يطرح أحدهما شيئا ويتمثله الآخر ويجيب عليه ويحدث تجاوب ، ويولد عنه مراجعة لما طرح وينتهى بالاتفاق أو غناء الفكرة بالوضوح وقد وردت المحاورة مقترنة بالجدل في سورة المجادلة [قد سمع الله قول التى تجادلك وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما] الآية رقم ١ وفى قوله تعالى [قال له صاحبه وهو يحاوره] سورة الكهف آية (٣٧)

فى وقت تضل فيه النفس البشرية ، وتنس ، على أن ذلك تغليب لمصلحة الأمة على مصلة الشخص الممثلة فى كسب المعركة عن طريق المبارزات الكلامية.

ومن ثم يكون تقدير الناس للمنصف لخصمه ، والمعترف له بالفضل ، وهى مرتبة أعلى فوق الاعتراف بالخطأ ، ولذا نرى الناس يكبرون المعترف بالخطأ أشد من اكبارهم لمن كسب الجولة.

٥- الامتناع عن الايذاء والسخرية أو البذاءة والفحش ، ويجمع ذلك كله «ترك الطعن والتجريح بالخصم» وهو خلق اسلامى كريم دعا إليه الإسلام حيث قال النبى (صلى الله عليه وسلم) ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش والبذىء»[١].

وهذا الضابط الخلقى الكريم يعد من أهم أسباب التواصل والتقارب ، لذا كان من عوامل الوصول إلى الحق ترك الطعن والتجريح للطرف الآخر ، والتماس العذر له ، وإن كان مخطئا فى ظن صاحبه[٢] ، وإلا ضاعت الفائدة واشتدت المعركة.

ومن المؤسف جدا - لاسيما فى عصرنا الحاضر - أن نرى بين المتحاورين من يشهر سيف الذم والتجريح للآخر متهما إياه بقلة الدين أو باتباع الهوى وبالابتداع والانحراف.

٦- أن يكون الحوار بالحسنى - وهى دعامة أساسية من الدعائم التى ينبغى أن يتصف بها الحوار العلمى ، فينبغى أن يغلب على الحوار العلمى الهدوء والرزانة بدل الانفعال والسخونة المقوتة ، ولذا أمر الله رسوله (صلى الله عليه وسلم) أن يكون منهج دعوته قائما على هذه الدعامة أيضا {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن»[٣] فالكلمة العنيفة لا لزوم لها ، ولا ثمرة تجنى من ورائها إلا أنها تجرح المشاعر ، وتغير مودة القلوب ، وتعكر صفاء الأنفس.

فالحوار بالحسنى خلق كريم وضابط عظيم وضعه الاسلام وهو فريد من نوعه حتى مع أهل الكتاب {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن}[٤].

فإذا كان هذا هو موقف الاسلام مع من يجادلونه من أهل الكتاب الذين يخالفونه فى العقيدة وطبق هذا المنهج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصحابته

(١) حديث صحيح رواه الترمذى فى سننه باب البر والصلة جـ ٨ / ١٤٩ .

(٢) راجع أدب الحوار والمناقشة د/ على أبو جريشة ص ٦٧ ط دار الوفاء - المنصورة ، والصحوة الإسلامية د/ القرضاوى ص ٢٢٩ .

(٣) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٤) سورة العنكبوت آية ٤٦ .

مع المشركين فى كثير من المواقف ، فكيف ينبغى أن يكون حوار المسلم مع أخيه الذى يؤمن بكل مايؤمن به من عقيدة وشريعة ورسول وكتاب.

٧- ضرورة احترام رأى المخالف واستهداف الحقيقة عند كل

فينبغى على كل من المتحاورين أن يحترم كل منهما رأى صاحبه ، وأنه فى قرارة نفسه يريد الحقيقة ومجتهد ، فقد يكون مصيبا أو مخطئاً ، وأن أخطأ ابان له الحقيقة ومجتهد ، فقد يكون مصيبا أو مخطئا ، وأن اخطأ ابان له الحقيقة بالادلة والبراهين فلا تكبر ولا احتقار ، بل احترام وتقدير ، واعطاء كل صاحب رأى حقه من الاعتبار والاهتمام .. وبعد ، فتلك هى أهم الضوابط الأخلاقية للحوار العلمى ، أما الضوابط المنطقية فيمكن اجمالها فيما يلى :

ثانيا : الضوابط المنطقية للحوار العلمى :

وإذا كان الاسلام قد وضع للحوار العلمى ضوابط اخلاقية فإنه فى ذات الوقت وضع ضوابط منطقية استخلصها علماؤنا الافاضل من واقع الاختلافات والمحاورات التى دارت بين علماء الإسلام من السلف الصالح والفقهاء وغيرهم وصبوا لنا هذه الضوابط فيما يلى :

١- أن يعلم كل من المتحاورين أن الحوار مباراة فكرية تُدار لحساب الحق لا لحساب شخص ما.

٢- أن يكون هناك موضوع للحوار فلا يمكن أن يتحاور اثنين فى أمر لم يُعلم أو غير محدد المعالم وإلا كان الحوار هذيانا ولغوا.

٣- الاحاطة التامة باطراف الموضوع وأبعاده ، ولذا نجد الامام أبا حامد الغزالى يشترط على من يريد نقد علم من العلوم أن يتبحر فيه ، بل ويزيد على أعلم علماء هذا الفن ليتمكن من أداء الحوار على قاعدة راسخة من العلم ، فيقول : «لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوى علمهم فى أصل ذلك العلم ثم يزيد عليه ...» وقد طبق هذا الضابط هو على نفسه عندما تعرض لنقد الفلسفة.

٤- الوقوف بحذر ازاء كل رأى يدور حول الموضوع ، ولابد من تمحيصه قبل أن يسبقه المزاج الشخصى فيتقبله للوهلة الأولى ثم يتبين زيفه بعد ذلك.

٥- الا يحتكر احدهما زمام الحديث وحده ، بل لابد من تردده بينهما والاخذ والرد بين كل وتناول الحديث بكلام طيب لين لا جمود فيه ولا تجريح.

٦- التزام الأدلة الاصولية أو العقلية وتقديمها مؤيدة بالقرآن والسنة ، والا يقدم أى منهما دليلا يردد به أصل دعواه ، ولا يطعن الا على الاسس التى يجرى عليها التحاور والا يكون فى كلام أى منهما تناقض.

٧- أن يفترض كل منهما صحة رأى الآخر وأن يجاريه توصلا للحق.

٨- وأنه يجب أن ينتهى الحوار عند ظهور الحق ، والا يمتد لدرجة التطاول على المخالف فيكون الشقاق والنزاع.

٩- أن يسعد كل من المتحاورين بظهور الحق فهو بيت القصيد ، ولا شكل فى ظهوره على يد أي منهما فلا تعصب ولا جحود ، بل تسليم بالمسلمات ، وقبول للنتائج التى توصلا إليها بالادلة القاطعة.

١٠ - مواساة الطرف الآخر وشكره على اجتهاده وعدم اظهار الشماتة به[١].

تلك هى أهم الضوابط المنطقية للحوار العلمى ، والتى يجب علينا جميعا أن نلتزمها وأن نحترمها ونتبعها عند محاورة الغير لنا أو محاورتنا له حتى لا يظهر شقاق أو نزاع فنذل ونضل وتذهب ريحنا ونكون لقمة صائغة لعدونا.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلنا متمسكين بكتابه وسنة رسوله (صلي الله عليه وسلم) وان يجمع قلوبنا على الخير والحق أنه سميع قريب مجيب الدعوات.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

دكتور
محمد محمد يحيي
قسم الدعوة والثقافة الاسلامية
بالكلية

---

(١) راجع مفاهيم تربوية / محمد عبدالله جـ ١ / ١٠٦ .